السلميات الحجاجية في بعض التعابير القرآنية

نَماذِج مُختارَة مِن سورة الشعراء

م.د مجيد عبد الزهرة علوان

دكتوراه/ لسانيات حديثة

كلية الامام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة

Majidad807@gmail.com

الملخص:

تروم هذه الوريقات البحثية، الى النظر في نظرية السلميات الحجاجية لنماذج مختارة من سورة الشعراء. وقد وظف الباحث عدد منها. والتي مكنته من تسليط الضوء على هذه النظرية- لديكور- وتطبيقها على النص القرآني المقدس؛ تحليلا لبعض الحجج فيه، وفق الممارسات العلمية الحديثة، وانطلاقا من مقولة: ((إنَّ القرآن يصلح لكلِّ زمان ومكان)). واعتمادا على الاستدلال بآياته. وما نريد إثباته: هو محاولة أنْ نصل الى نتيجة مفادها: إنَّ هذه النَّظريَّة قائمة عند علماء العربيَّة الأوائل ولكنها بمصطلحات أخرى، وهو ما دَّلت عليه أغلب النُّصوص التَّطبيقيَّة.

الكلمات المفْتاحيَّة: (السلميات الحجاجية- السلم الحجاجي- مستويات السلم الحجاجي).

Pilgrimage Salamiyat in some Quranic expressions

Selected examples from Surat Al-Shu'ara

Dr. Majeed Abdel Zahra Alwan

PhD/Modern Linguistics

Imam Al-Kadhim University College of Islamic Sciences

Majidad807@gmail.com

Abstract:

These research papers aim to look at the Hajjaj Salami Yat in Surah Ash-Shu'ara. The researcher employed a number of them. Which enabled him to shed light on this

theory – La Decor – and apply it to the holy Qur'anic text. An analysis of some of its arguments, according to modern scientific practices, and based on the saying: ((The Qur'an is suitable for every time and place)). And based on the inference of its verses. What we want to prove is an attempt to reach a conclusion that this theory exists among the early Arabic scholars, but in other terms, which is what most. applied texts indicate.

Keywords: (Les echelles argumentative– Orbital ladder – Levels of the orbital ladder).

مفهوم السلمات الحجاجية

درَّس هذه النَّظريَّة الألسني الفرنسي ديكرو في كتابهِ (السَّلالم الحِجَاجيَّة ١٩٨٠م)، وحاول توسيعها مُعيدًا صياغتها في كتابهِ الآخر: (الحِجَاج في اللُّغة: ديكرو وأنسكومبر ١٩٨٣) [١]، فالسُّلم الحِجَاجي "فئة حِجَاجيَّة موجهة"[٢]، أو هو" كلُّ علاقة ترتيبية للحجج"[٣]، ويتميز بالسِّمتين الآتيتين:

١. كلُّ قول يجيء في درجة ما من السُّلم الحِجَاجي، يلاحظ أنَّ القول الَّذي فوقه دليلًا أكثر قوة منه بالنِّسبة إلى النَّتيجة "ن" [٤].

٢. لو كان القول "ب " يُؤَدِّي إلى النَّتيجة "ن"، فهذا يستلزم أنَّ "ج" أو " د" الَّذِي يكون فوقه يُؤَدِّي إليها، والعكس خاطئ [٥].

ويمكن أنْ يمثَّل له بالرموز الآتية:

ن

د

ج

ب

فإذا أخذنا الأقوال الآتية:

– حصل زيد على الشَّهادة الثانويَّة.

– حصل زيد شهادة الإجازة.

– حصل زيد شهادة الدُّكْتُورَاه.

فالجمل آنفة الذِّكر متضمَّنة حججًا تنتمي إلى الفئة الحِجَاجيَّة نفسها، وبدورها منتمية إلى السُّلم الحِجَاجي ذاته، فهي تُؤَدِّي إلى نتيجة مضمرة من قبيل كفاءة زيد أو مكانته العلميَّة، لكنَّ القول الأخير، هو الَّذي سيرد في أعلى السُّلم الحِجَاجي، وحصول زيد على الدُّكْتُورَاه، هو أقوى دليل على مقدرة زيد، وعلى مكانته العلميَّة [٦]، ويمكن التَّرميز للسِّلم الحِجَاجي كما يأتي:

ن = الكفاءة العلميَّة

الدُّكْتُورَاه

الإجازة

الشَّهادة الثانويَّة

ن = النَّتيجة

يلحظ أنَّها تخضع الى" قانون النَّفي والقلب، فالأول: يعني أن نفي حجة الرَّأي الأول هي حجة للرأي الثَّاني المخالف، أمَّا الثَّاني: فيعني كون السُّلم الحِجَاجي للأقوال المثبتة هو عكس السُّلم الحِجَاجي للأقوال المنفيَّة"[٧].

ومنه قوله تعالى: ﴿ **أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ١٨١ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ١٨٢ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ١٨٣** ﴾ [الشعراء: ١٨١-١٨٣] .

فكان التَّنبيه في قصة النَّبي شعيب عليه السلام بصيغة الأمر والنَّهي، وهما من أفعال الطَّلب، وجيء بهما على تلك الوضعيَّة الإنجازيَّة متمثِّلة بمحاولة الباث لدفع الْمُتَلَقِّي للخطاب؛ والقيام بفعلٍ خاص، وهو طلب إيفاء الكيل والوزن، بفعل إنجازي توجيهي، وكان الغرض منه الإرشاد والنَّصيحة والموعظة؛ حَتَّى لا يأكل أحدٌ حقَّ الآخر،

فـ(**أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ**) حجة أولى، و (**وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ**)، حجة ثانية، بصيغة النَّهي الجازم، و(**وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ**) ، حجة ثالثة بصيغة الأمر، و(**وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ**) ، حجة رابعة بصيغة النَّهي، بعدم تحقير أشياء الآخرين، ولم يكتفِ تعالى بذلك؛ بلْ جاء بنتيجة، وهي: (**وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ**) فينتقل تعالى من الأمر والنَّهي الى الفعل الكلامي التأثيري، وكان غرضه النَّصح والإرشاد، والنَّتيجة "عدم تحقير أشياء الآخرين وإفشاء الفساد في الأرض"[٨]، إذ إنَّ إيفاء الكيل، والوزن بالقسطاس، وألاَّ تبخسوا النَّاس، يترتب على هذه الحجج– الَّتِي تتفاوت قوتها – نتيجة ضمنية عدم إفشاء الفساد في الأرض، ويبينها السُلم الحِجَاجي الآتي:

(وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ)	نتيجة
(وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ)	حجة رابعة
(وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ)	حجة ثالثة
(وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ)	حجة ثانية
(أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ)	حجة أولى

أولًا: قوانين السُّلم الحِجَاجيّة:

حاول الدّكتور "طه عبد الرحمن" جاهدًا تلخيص قوانين "ديكرو" فجعلها ثلاثة قوانين رئيسية وهي: قانون الخفض وقانون تبديل السُلم (النَّفي) وقانون القلب [٩].

١- **قانون الخفض**

فهذا القانون" إذا صدق القول في مراتب معينة من السُّلم فإنَّ نقيضه يصدق في المراتب الَّتِي تقع تحتها"[١٠]، فإنَّ التَّراتبيَّة تكون من الأسفل وفق مبدأ الضَّعف إلى الأعلى وفق مبدأ القوة، وأمَّا نقيضها فيكون العكس، وللتَّمثيل على هذا القانون [١١]:

- الجو ليس باردًا.

- يحضر كثير من الأصدقاء الى الحفل.

ففي التَّأويل المثال الأول: إنَّ البرد شديد. وفي المثال الثَّاني: إنَّ الأصدقاء كلّهم حضروا الى الحفل. ويمكن صياغة المثال الأول كالآتي:

- إذا لم يكن الجو باردًا، فهو دافئ أو حار.

وسيؤول القول الثَّاني كما يأتي:

- لم يحضر إلا القليل منهم الى الحفل.

فنفي الأقوال الحِجَاجيَّة الَّتِي تقع على السُّلم الحِجَاجي الَّذي يوصلنا الى النَّتيجة، أقل قوة، لنلمس قوله تعالى:﴿**قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤** ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤]

فالحِجَة الواردة: ﴿ **قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ** ﴾ ، تثبتْ أنَّه تعالى موجِد الخَلق والكون، وبذلك يتوجب على البشريَّة جمعاء الإيقان به وطاعته، وأنَّ الآلهة المتعدد لمْ توجِد شيئًا، ونتيجة ذلك القول الَّذِي أثبت، إنَّه خالق السَّموات والأرض، وبطلان عبادة الأوثان، فالنَّتيجة المُضادة للآية، وهي أنَّ آلهة الأوثان والأصنام أقل صدقًا؛ بلْ ينعدم الصُّدق عندها، ولا وجود لها أصلًا.

٢- قانون تبديل السُّلم (النَّفي)

ومقتضاه "إذا كان القول دليلًا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله"[١٢]، ففي قوله تعالى: ﴿**وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠** ﴾ **[النمل: ٩٠]**

وتمثَّل: ﴿**وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ** ﴾ ، والنَّتيجة: ﴿ **فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ** ﴾ الَّتِي تشير أي مَنْ غلبتْ عندهم السَّيئات على الحسنات، وهم غير مؤمنين ومن أهل الشَّقاء والنَّار[١٣]، ونفيها (من لم يجيئْ بالسَّيئة)، وتكون النَّتيجة أنَّهم (على بصيرة من أمرهم)، فالنَّتيجة مضادة، وغير مصرح بها، الإنسان المؤمن لا يأتي بالسَّيئة، وبذلك يكون على بصيرة من أمره وهدى من ربه:

(ق ـــــــــ ن) (~ ق ـــــــــ ~ن)

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ ، والنَّتيجة: ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾

(من لم يجيئ بالسيئة) (على بصيرة من أمرهم)

٣- قانون القلب

مقتضاه " إذا كان أحد القولين اقوى من الآخر في التَّدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثَّاني أقوى من نقيض الأول في التَّدليل على نقيض المدلول"[١٤]، فكلّ برهان، أو حجة داخلة في الْخِطَاب ترتبط مع بعضها وتكون قوتها متجهة من القول الأول انخفاضا، أي نقيض الحجة الثَّانية أكثر قوة من نقيض الحجة الأولى، وللتَّمثيل:

ن ـــــــــــــ لا ~ ن

أ ـــــــــــــ ~ أ

أ ـــــــــــــ ~ أ

وللتَّوضيح بالمثالين:

- حصل زيد على الماجستير، وحَتَّى على الدُّكْتُورَاه.
- لم يحصل زيد على الدُّكْتُورَاه؛ بلْ لم يحصل على الماجستير.

فالقول الأول (حصول زيد على الدُّكْتُورَاه) أقوى من حيث المكانة العلمية بـ(حصوله على الماجستير) ونقيض القول الأول أقوى حجة من حيث الضَّعْف في الكفاءة العلمية و(عدم حصوله على الدُّكْتُورَاه) [١٥].

ويلحظ قانون القلب في قوله تعالى:

﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾ [الشعراء: ٧١-٧٤].

فقد حاول النَّبي إبراهيم عليه السلام محاجة عمه وقومه، بفطرته الطَّاهرة، أي: إنَّ ما تعبدون إلَّا أجسامًا لا تضر ولا تنفع، ويجب التَّوجه بالعبادة للَّذِي يجلب نفعًا أو يدفع ضَرًا، وكان مقتضى المقام أن يجيبوا سؤاله عليه السلام بالنَّفي؛ لكنَّه لما كان ينتج خلاف ما هم عليه من الانتحال بالوثنية أضربوا عنه وتشبثوا بالتَّقليد(١٦)، لذا إنَّ قانون القلب يبطل حجج هؤلاء الكفَّار في تقليدهم، والتَّرميز السُّلمي يوضح ذلك:

(ن) صُدق تقليد الآباء في العبادة (لا ~ن) ليس تقليد الآباء صادقاً في العبادة

ح٢ **﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾**

ح٢ _____ لم يقلدواْ آبائهم

ح ١ **﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾.**

ح١ _____ لم يعبدواْ الأصنام عاكفين عليها

فادعاء الكفَّار أَنَّهم قلدوا الآباء في عبادتِهم، وهم يفعلونَ كفعلهم ومقلدون لهم، وذلك باطل محض وليس بصدقٍ، وما أثبت صحته، قانون القلب للحجج، هم لم يقلدوا أباءهم، بدليل لو فعلوا ذلك لاتبعواْ النَّبي إبراهيم عليه السلام، وآباؤهم لمْ يكونوا على ملةٍ ودين بدليل تبرأ عليه السلام من آلهتهم ومن أنفسهم وآبائهم(١٧)، لقوله تعالى: **﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧﴾[الشعراء: ٧٥-٧٧].**

ثانيًا: مستويات السَّلميات الحِجَاجيَّة

١- سُلَمِيَّة المستوى المعجمي

يعمدُ الباث للُّغة إلى انتقاء المفردات ذات الدلالة المرتبة ضمن سُلَمِيَّة معبرة عن درجة المعنى العام الواحد، والانتقاء يكون دقيقًا، واختياره للمفردات ذات ابعاد برغماتية[١٨]، "لئن بدت السُلَمِيَّة على النَّحو الَّذي عالجها به ديكرو يكشفها الجانب التَّركيبي رغم عسر إدراكها فإنَّها في المعجم تبدو أكثر وضوحًا"[١٩]، وأعطى ديكرو بعض الأمثِّلة لها، إذ إنَّها كلُّها من قبيل الصِّفات، فمثَّل لها عن حالة الطَّقس (منعش، بارد، قارس) أو (دافئ، ساخن، حار)، وكان ترتيبها من الأصغر إلى الأكبر[٢٠]، وكان للثَّعالبي(ت ٤٢٩هـ) محاول إذ رتَّب المادة المعجمية ترتيبًا معنويًا، لا كما فعل أصحاب المعاجم الَّذين رتبوا معاجمهم ترتيبًا هجائيًّا، وقد مثَّل لها بكثير من الأمثلة، ومنها: ترتيب ضخم الرَّجل (بادِن، خِدَب، جَلَنْدَحٌ) إذ إنَّ هذه الألفاظ مرتبة من الأقل ضخامة إلى الأكثر[٢١]، أولو كما في ترتيب البُكاء (إذا تهيَّأ الرَّجل للبكاء قيل: أَجهش فإن امتلأت عينه دموعًا قيل: اغرورقتْ عينه وترقرقتْ، فإذا سالتْ قيل: دمعت أو همعت، فإذا حاكت دموعُها المطر قيل: همتْ، فإذا كان لبكائه صوت قيل: نحب ونشج، فإذا صاح مع بُكائه قيل: أعوَل)[٢٢]، ولهذه السُلميَّة جذور عند العرب-كما ذكرت-، ولا تحتاج إلى أي جهدٍ عقلي، أو فكري، لإدراكها، وللتَّمثيل عليها، على النَّحو الآتي:

﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾ [القصص: ٧٦]

جاءت درجات السُّرُوْرِ في سور الطَّواسين في مواضع مختلفة من سورة النَّمل، والقصص، فأول مراتبه الابتهاج أو البهجة، ثُمَّ الاستبشار أو البشرى، ثُمَّ الفرح وهو كالبطر ثُمَّ المرح وهو شدة الفرح[٢٣]، فصفة "الفرح" تقع في أعلى السُلم الحِجَاجي، وهي أقوى الصّفات من حيث التَّوجيه الحِجَاجي، و صفة" البهجة " الَّتِي تقع في أسفل السُلم الحِجَاجي، فهي من أقل الصّفات الحِجَاجيَّة في السُلم.

فالحدائق ذات البهجة: أي ذات المنظر الحسن[٢٤]، واشتهرت بها مدينة بابل، وهي من عجائب الدُّنيا السَّبع[٢٥]، وفيه معنى التَّنبيه على القدرة الالهية، وإيضاح عجز الالهة المتعددة، على الرَّغم من أنَّ فيها توبيخ وتقريح واضح لهم[٢٦]، وقد "صُرف الكلام عن الغيبة إلى التَّكلم؛ تأكيدًا لمعنى اختصاص الفعل بذاته، وإيذانًا بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطَّعُوم والأشكال، مع سقيها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده"[٢٧]، وأمَّا صفة البُشرى فيقصد بها: "هدى للمؤمنين به، يهديهم إلى سبيل الرَّشاد ومبشرًا لهم بالجنة والمغفرة"[٢٨]، وهي أخص من الخبر المجرد، أو هي الخبر السَّار؛ لانَّ أثر ذلك الخبر يظهر على بشرة الانسان[٢٩]، والفرح في النَّص﴿ **إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ٧٦** ﴾ **[القصص: ٧٦]**

يراد به" الأَشِرُ البَطِر"[٣٠]، أي: إنَّه لا يحب البطِّرين [٣١]، وتضمَّنتِ الآية حكاية قارون ابن عم النَّبي موسى عليه السلام، إذ كان يمتاز بحسن صوته وكان يتلو التَّوراة، وكان عدوًا لله تعالى منافقًا كالسَّامري، وله أموال كثر، وكنوزه من جلودٍ، وقد نصحه قومه على سبيل الإرشاد، أنْ لا تبطر بما أنتَ فيه من البذخ والمال، إذ إنَّه تعالى لا يحب المرحين الأشرين[٣٢].

إنَّ ما عرضناه من مشاهد السُّرور وتراتبيه عبر النَّصوص الشَّريفة، نجدُها عند الثَّعالبي (ت ٢٤٩هـ) إذ قال:" أوَّل مراتبه الجذل والابتهاج، ثمَّ الاستبشار، وهو الاهتزاز، وفي الحديث: "اهتزَّ العرش لموت سعد بن معاذ"، ثمَّ الارتياح والابرنشاق، ومنه قول الأصمعي: حثتُ الرَّشيد بحديث كذا فابرنشق له، ثمَّ الفرح وهو كالبطر...، ثمَّ المرح وهو شدة الفرح"[٣٣]، ويمكن أنْ نرتب السُّرور، على النَّحو الآتي: (الابتهاج، الاستبشار، الفرح).

بطر قارون عندما اتاه الله الكنوز	الفرح (هو كالبطر)
هدى للمؤمنين وبشرى له بالجنة	الاستبشار
مخاطبة الرَّسول للمشركين	الابتهاج (أول مراتب الجذل)

فالصِّفة الَّتِي تقع في أسفل السُّلم وهي" الابتهاج" تكون أقل من النَّاحية الحِجَاجيَّة من" الاستبشار" وأمَّا صفة " الفرح " فهي من أكثر الكلمات حِجَاجيَّة في السُّلم الحِجَاجي كما يرى ديكرو.

توى الصَّرفي

تنتمي مجموعة من الصِّيغ الصَّرفيَّة الى سُلَمِيَّة متدرجة من الدَّلالة على معنى جذر لغويّ واحد، كصيغ المبالغة الَّتِي تدلُّ في أصلها على الفاعل الَّذي صِيغ من الفعل الثُّلاثي، فتندرج هذه الصيغ المشتقة من الفعل(نَحَرَ) بأوزان معروفة؛ لتصبح: ناحِر، نحَّار، نَحُور، مِنحَار، نحِير، نحِر [٣٤]. وللتمثيل على هذه السُّلميَّة:

كذَّاب صدّيق سحَّار

كذوب صدوق سحور

كاذب صادق ساحر

ينتقل المستوى الصَّرفي في المثال أعلاه من كاذب الى كذوب ومن كذوب إلى كذَّاب، وهذا ما استدعته الوظيفة الحِجَاجيَّة للُّغة، وعليه ترتقي الكلمة عبر الموقع في السُّلم الحِجَاجي، وهو بمثابة الانتقال من درجة الى أخرى في السُّلم الحِجَاجي [٣٥].

فاسم الفاعل أقل تعبيرًا عن المعنى من الصّفة المشبهة، فالأخيرة يكون فيها تلازم بين الصّفة والموصوف، وصيغة المبالغة أقوى منهما؛ لأنَّها تحتوي على مقولة العدد والكثرة تقتضي الزِّيادة عبر التَّضعيف والحركة الطَّويلة [٣٦]، وما ورد في سور الشعراء من الشَّواهد:

– قال تعالى: ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ١٠١﴾ [الشعراء: ١٠١].

كان الوصف بالمصدر **(صديق)** في الشَّاهد الأول، إذ أُطِلقَ اسم آلة الشَّيء عليه، فالِّلسان آلة الصِّدْق [٣٧]، والنَّبي إبراهيم عليه السلام سأل الله تعالى أنْ يُبقي له الثَّناء الحسن في أمة المصطفى محمد

(صلى الله عليه واله وسلم) فقد تحقق له ذلك، فأغلب الأمم تحترمه وتقدره من النَّصارى واليُهود وغيرهم [٣٨].

وجاء الشَّاهد الثَّاني: **(حميم)** إخبارًا عن أهل النَّار، فالله تعالى وهذا دليل على أنَّه يُؤذِن أنْ يشفع الصَّديق لِصديقه [٣٩]؛ إذا كان خاصًا، أو قريبًا، وهو بمعنى الحميم، لأنَّه يحمُّ لك ويغضب لأجلكَ [٤٠]، وسلميَّة المستوى الصرفي لهذه الصِّفة تبدأ من:

الصَّدِيْق

الصِّدْق

فعندما ننتقل من الصِّدْق إلى الصَّدْيق، نرى أنَّه هذا ما طلبته الوظيفة الحِجَاجيَّة فالصَّديق: المبالغة في الصِّدق، والرَّجل لا يصدق الأثر وأثره كذبًا، فعندما يسأل من أينَ أتيت؟ قال: فلم يصدق، ورجل صدقٍ، النَّقيض لـ" رجل سوء" ومعناه نِعْمَ الرَّجل، وقد جاء الصَّديق جمعًا، ألا ترى عطفه على الجمع [٤١]، وما حدث ذلك؛ إلَّا للارتقاء من درجة إلى أخرى، بفضل الزِّيادة في حروف الكلمة.

أمَّا الشَّاهد الآخر في سورة الشعراء فهو:

- قال تعالى: ﴿**فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجِدِينَ ٤٦**﴾ [الشعراء: ٤٦].
- قال تعالى: ﴿**قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤**﴾ [الشعراء: ٣٤].

الجمع سحرة

المفرد ساحر

فالانتقال من ساحِر إلى سحَرة، وكان الغَّرض منها التَّأثير في السَّامع، وقد كانت مرتبة حسب سُلميَّة المستوى الصَّرفي، فقد استخدم المفرد بصيغة، (ساحر)، والجمع بصيغة **(سحرة)** وبهذا التَّدرج في الكلمات؛ للتَّأثير في السَّامع وتحريك المشاعر، ففي قوله تعالى: ﴿**فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجِدِينَ**﴾ كان يريد هزيمة السَّحرة أمَّام النَّبي موسى عليه السلام فلما رأوا من الآيات الباهرة بهرهم وأدهشهم ذلك فلم يتملكوا أنفسهم دون أن خرّوا على الأرض ساجدين لله سبحانه،...فكأنهم طرحوا على الأرض طرحًا[٤٢].

وأمَّا الأمثِّلة الأخرى لهذه السُلَمِيَّة الصَّرفيَّة:

- **قال تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ٣٧﴾ [الشعراء: ٣٧].**
- **قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ١٥٣﴾ [الشعراء: ١٥٣].**
- **قال تعالى: ﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ٣٤﴾ [الشعراء: ٣٤].**

ففي الشَّاهد الأول: يقصد معنى السَّحَّار، أي:" الكثير السّحر"[٤٣]، وهو صيغة مبالغة على وزن (فَعَّال)، ويراد هنا" أي أخره وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كلّ سحَّار عليم يقابلونه، ويأتون بنظير ما جاء به، فتغلبه أنت" [٤٤].

وأمَّا الشَّاهد الثَّاني: **﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ١٥٣﴾** فقد وردت هذه الآية في وصف للنَّبي صالح (عليه السلام) كونه من **﴿مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾** أي: بالمسحورين وهو اسم مفعول، أو قد يراد به من المخلوقين[٤٥].

وأمَّا في الشَّاهد الثَّالث: **﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ٣٤﴾** فقد طفِق فرعون يأمر السَّحرة، ويعترف لهم بما حذَّر منه وتوقعه وأحسَّ به من النَّبي موسى عليه السلام ومحاولة غلبته على ملكه وأرضه، فالنَّص كان على لسان فرعون باهت ومتمحل إذ لزم[٤٦] قوله: **﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ٣٥﴾ [الشعراء: ٣٥]**، وساحر وصف على وزن اسم فاعل.

وما يخص سُلميَّة المستوى الصرفي للأوصاف المذكورة في السُلم الحِجَاجي:

صيغة مبالغة **سَحَّارٍ**

اسم مفعول **مُسَحَّرِينَ**

اسم فاعل **سَٰحِرٌ**

إذ انتقل القول من ساحر الى مسحَّرين والى سحَّار، وكان للوظيفة الحِجَاجيَّة أثر مهم في اللُّغة، فقد تغير الفعل "سَحَرَ" إلى صيغ عديدة من اسم الفاعل إلى المفعول ومن ثمَّ إلى صيغة المبالغة، وهذا كلُّه يصبُّ فيما تستدعيه سُلميَّة المستوى الصَّرفي للُّغة، علمًا أنَّ اسم الفاعل أقل تعبيرًا من اسم

المفعول، واسم المفعول أقل تعبيرًا من صيغة المبالغة، والأخيرة أقوى منهما؛ لأنَّها تحوي على العدد والكثرة، فالحركة والتَّضعيف الحاصلة عليها لعبت دور كبير في قوتها من حيث المعنى [٤٧].

فما ورد من السُّلميات سواء أَكانت معجميَّة، أم صرفيَّة، أم غير ذلك مما لم يذكر، وهي الَّتِي تحدد الخطاب الإنجازي، بالإضافة إلى ما توفره التَّراكيب اللُّغويَّة وغير ذلك، وكذلك المقام، والخِطاب بكلِّ وضعياته، يضاف إلى ما ذكره ديكرو وأنسكومبر، من أَنَّ الوظيفة الحِجَاجيَّة هي الأوليَّة للُّغة الحِجَاجيَّة، وعليه يجب أنْ تكون للُّغة سلميَّة تراتبيَّة كيفا تتفاضل الأقوال وتتمايز نجعتها في استمالة المُتلقِّي وضمان تسليمه [٤٨].

الهوامش

(١) النَّظريَّة الحجاجيَّة: ٩٤.

(٢) اللُّغة والحِجَاج: ٢١.

(٣) حجاجية المجاز المرسل في القرآن الكريم: سالمة الراجحي، (بحث) ضمن كتاب التَّحليل الحجاجي للخطاب: إشراف: أحمد قادم وسعيد العوادي: ١٤٠.

(٤) ينظر: اللُّغة والحِجَاج: ٢١.

(٥) ينظر: المصدر السابق: ٢١.

(٦) ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته: ١ /٦١، واللُّغة والحِجَاج: ٢١، والتدرج البلاغي في الرسالة الصحفية:٩٥.

(٧) القيمة الحجاجيَّة في النَّص الإشهاري: نعمان عبد الحميد بو قرة، بحث ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف: د. حافظ إسماعيل علوي: ٢ / ٢٢٤.

(٨) البلاغة والأسلوبيَّة: ١١٤.

(٩) اللِّسان والميزان: ٢٧٧.

(١٠) م. ن: ٢٧٧.

(١١) ينظر: اللُّغة والحجاج: ٢٤.

(١٢) الِلسان والميزان: ٢٧٨.

(١٣) ينظر: تفسير التَّحرير والتَّنوير: ٢٠/ ٥٢.

(١٤) اللِّسان والميزان:٢٧٨.

(١٥) ينظر: اللُّغة والحجاج :٢٣.

(١٦) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٥ /٢٨٠ -٢٨١.

(١٧) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٥ / ٢٨٢.

(١٨) استراتيجيات الخطاب: ٧٠.

(١٩) العوامل الحجاجيَّة في اللُّغة العربيَّة:١٢٣.

(٢٠) ينظر: م. ن: ١٢٣.

(٢١) ينظر: فقه اللُّغة وأسرار العربيَّة: ٧٣.

(٢٢) م. ن: ١٤٨.

(٢٣) ينظر: فقه اللُّغة وأسرار العربيَّة: ٢١٢.

(٢٤) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني: ١٠٨/٤.

(٢٥) ينظر: معجم اللُّغة المعاصر: ١ /٤٦٠.

(٢٦) ينظر: الهّداية إلى بلوغ النهايَّة: ٨ / ٥٤٥٣.

(٢٧) فتحُ البيان في مقاصد القرآن: ١٠ /٥٩..

(٢٨) الهّداية إلى بلوغ النَّهايَّة: ٨ / ٥٣٦٨.

(٢٩) ينظر: التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٠ /٣٠٠.

(٣٠) لسان العرب: ١٣ / ٥٢٢.

(٣١)ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: ٣/ ١٦٥٤.

(٣٢) ينظر: النّكت والعيون: ٤ /٢٦٤.

(٣٣) فقه اللُّغة وأسرار العربيَّة: ٢١٢.

(٣٤) استراتيجيات الخطاب: ٧٠.

(٣٥) ينظر: العوامل الحجاجيَّة في اللُّغة العربيَّة: ١٢٦.

(٣٦) العوامل الحجاجيَّة في اللُّغة العربيَّة: ١٢٦.

(٣٧) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: ١٥٢/٣.

(٣٨) موسعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١ / ٤٤٢.

(٣٩) ينظر: نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام: ٣ / ٥٣٠.

(٤٠) تفسير القرآن للسمعاني: ٥٦/٤.

(٤١) ينظر: لسان العرب: ١٠ /١٩٤.

(٤٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٥ / ٢٧٤.

(٤٣)شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم :٥ / ٣٠٠٦.

(٤٤)تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١٤١/٦

(٤٥) م. ن: ١٤١/٦.

(٤٦) ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق التّنزيل: ٢٣٦/٣.

(٤٧) ينظر: العوامل الحجاجيَّة في اللُّغة العربيَّة: ١٢٦.

(٤٨) ينظر: السلالم الحجاجيَّة في القصص القرآني مقاربة تداوليَّة: ١٣٣.

المصادر والمراجع

١. ابن عاشور، محمد الطاهر، (١٩٨٤م)، **التحرير والتنوير**، الدَّار التّونسية للنشر، تونس.

٢. ابن منظور(٧١١هـ)، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدِّين، (١٤١٤هـ) لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، لبنان.

٣. البرزنجي، عمر اسماعيل أمين، (٢٠٠٩م)، **البلاغة والأسلوبيَّة: دراسة تطبيقيَّة على سورة الشُّعراء**، ط١، صفحات للدِّراسات والنّشر والتَّوزيع، دبي، الأمارات العربية.

٤. التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر، (١٩٩٦م)، **موسعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، بيروت، لبنان.

٥. الثعالبي(٤٣٠هـ)، عبد الملك بن محمد، (٢٠٠٠م)، **فقه اللُّغة وأسرار العربيَّة**، ط٢، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

٦. جبل، محمد حسن حسن، (٢٠١٠م)، **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، مصر.

٧. الحميري اليمني (ت ٥٧٣هـ)، نشوان بن سعيد وآخرون، (١٩٩٩م)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، دار الفكر المعاصر، ط١، بيروت، لبنان.

٨. الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، دار الكتب العلميَّة، منشورات محمد علي بيضون، ط١، بيروت، لبنان.

٩. الراجحي، سالمة، " **حجاجية المجاز المرسل في القرآن الكريم**" بحث، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب. إشراف: أحمد قادم، وسعيد العوادي.

١٠. الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (٢٠٠٩م)، **الكشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في تحقيق وجوه التنزيل**، دار المعرفة، ط٣، بيروت، لبنان.

١١. السمعاني(ت٤٨٩هـ)، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد، (١٩٩٧م)، **تفسير القرآن**، ط١، دار الوطن، الرياض، السعودية.

١٢. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، (٢٠٠٤م)، **استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداوليَّة**، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان.

١٣. الطباطبائي، محمد حسين، (١٩٩٧م)، **الميزان في تفسير القرآن**، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٤. طرطوس، محمد، (١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)، **النَّظريَّة الحجاجيَّة**، ط١، العمدة في الطبع، الدا١ر البيضاء، المغرب.

١٥. عبد الرَّحمن، طه، (١٩٩٨ م)، **اللِّسان والميزان (أو التَّكوثر العقلي)**، المركز الثَّقافي العربي، الدَّار البيضاء، المغرب.

١٦. العزاوي، أبو بكر، (٢٠٠٦م)، **اللغة والحجاج**، ط١، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب.

١٧. (علوي، وآخرون)، (٢٠١٠م)، **الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة**، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.

١٨. فايزة، بوسلاح، (٢٠١٤م)، **السلالم الحجاجيَّة في القصص القرآني مقاربة تداوليَّة**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر.

١٩. القرطبي(ت٤٣٧هـ)، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار، (٢٠٠٨م)، **الهِدَاية إلى بلوغ النهايَّة**، ط١، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الشارقة، الامارات العربية.

٢٠. القصاب، الحافظ محمد بن علي الكرخي، (٢٠٠٣م)، **نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام**، دار ابن القيم، ودار ابن عفان، ط٣، القاهرة، مصر.

٢١. القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، أبو الطَّيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله، (١٩٩٢م)، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، ط١، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنشْر، بيروت، لبنان.

٢٢. الماوردي، البصري(٤٥٠هـ)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، النّكت والعيون، دار الكتب العلمية، بدون طبعة، بيروت، لبنان.

٢٣. مختار(ت١٤٢٤هـ)، احمد، (٢٠٠٨م)، **معجم اللغة العربيَّة المعاصرة**، ط١، عالم الكتب الحديث، الأردن.

٢٤. الناجح، عز الدين، (٢٠١١م)، **العوامل الحِجَاجيَّة في اللُّغة العربيَّة**، ط١، مكتبة عز الدين، صفاقس، تونس.

٢٥. نكري (ت ١٢هـ)، عبد النبي بن عبد الرَّسول الأحمد، (٢٠٠٠م)، **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، دار الكتب العلميَّة، ط١، بيروت، لبنان.

٢٦. الواحدي(٤٦٨هـ)، عادل أحمد عبد الموجد، وآخرون، (١٩٩٤م)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.